إلى صاحبة الجلالة الملكة بياتريكس ملكة هولندا

ظهر هذا الكتاب باللغة الفرنسية في عام 2007 تحت عنوان:
Les relations entre les Pays-Bas et la Syrie ottomane au XVIIe siècle
Les 400 ans du Consulat des Pays-Bas à Alep (1607-2007)
للمؤلفين حسين عصمت المدرس وأوليفيه سالمون
Hussein I. El-Mudarris et Olivier Salmon

طبعة منقّحة ومزيدة من قبل المؤلفَين
تعريب: حسين عصمت المدرس
المادة الوثائقية والعلمية: حسين عصمت المدرس و أوليفيه سالمون
مراجعة اللغة العربية: غِفار بكري معراوي

تقع مسؤولية المعلومات الواردة في هذا المؤلف على عاتق المؤلفَين، وليس لها علاقة بوزارة الخارجية الهولندية ولا تعبر عن وجهة نظرها ولا عن وجهة نظر سفارة المملكة الهولندية في دمشق أو وجهة نظر قنصلية المملكة الهولندية في حلب.

حقوق الطبع والنشر والترجمة والتوزيع محفوظة للمؤلفَين

إن قانون الملكية الفكرية يمنع الطبع أو النسخ أو الاقتباس أوالنقل المخصص للاستعمال العام من هذا المؤلف، وإن أي نقلٍ جزئياً كان أو كلياً تقوم به أي جهة كانت بدون موافقة المؤلفَين أو من ينوب عنهما يعتبر أمراً غير قانوني ويشكل خرقاً نص عليه قانون الملكية الفكرية.

الطبعة العربية الأولى
© El-Mudarris, 2008
ISBN: 978-9953-511-92-4

مقدمة الدكتور نيقولاوس فان دام*

حين تكونتْ لدي الرغبة بزيارة سورية والعالم العربي للمرة الأولى في عام 1964، حيث حملتني أولى خطواتي إلى مدينة حلب العريقة، وعندما شاهدت قلعتها الرائعة، وأسواقها القديمة حيث يلتقي الحرفيون والتجار والزوار والزبائن من الريف المجاور؛ شعرتُ بنشوة وإعجاب بجمالها وفتنتها. إن أصوات طَرق الحدادين، وعبق التوابل، والدكاكين الصغيرة لبائعي الحبال، وصابون حلب الشهير بصابون الغار، كل ذلك فتح أمامي طريقاً غير متوقعةٍ لكنزٍ كبير. ورغم أنني لا زلت أجهل حينها تفاصيل ماضي حلب العريق، لكنّي شعرت رغم ذلك أنني دخلت مركز مدينة ذات تراث تاريخي وثقافي كبيرين لا مثيل لهما. ومنذ ذلك الوقت، وفي كل زيارة لي إلى هذه المدينة العريقة، أتوغل أكثر فأكثر في أعماق جمالياتها وسحر أسرارها. لقد أصبحتْ حلب مدينتي العربية المفضلة، وفي أزقة أسواقها القديمة أمضي أمتع نزهاتي. وذات يومٍ، ذهبت للبحث عن "*خان الفلمنك*" مقر قنصلية البلاد المنخفضة "هولندا" والذي كان قائماً في قلب الأسواق القديمة، لكنني لم أوفق حينذاك في العثور على آثاره.

في بداية السبعينيات من القرن العشرين، قمت بزيارة قنصل هولندا الفخري المرحوم السيد جان مكربنة الذي استقبلني بحرارة في مكتبه في شارع قسطل الحجارين.

ومنذ ذلك الوقت حرصت على إقامة علاقة وطيدة مع القناصل الفخريين للمملكة الهولندية في حلب، وقد ثمنتُ عالياً شرف تكليفي بأن أكتب كلمات هذه المقدمة للدراسة المميزة للسيد حسين عصمت المدرس قنصل المملكة الهولندية الفخري في حلب، الذي خَلَفَ والده السيد عصمت المدرس في مهامه. لقد عرفَ السيد حسين عصمت المدرس بنشاطه في الحفاظ على تراث مدينة حلب الغني وتقييمه ودراسته، فهو خير العارفين به. إن هذا المؤلف هو ثمرة تعاونه مع السيد أوليفيه سالمون، الجامعي الفرنسي، الذي أصبح عاشقاً لمدينة حلب، وجعلها ميداناً لأبحاثه الجامعية.

إن هذه الدراسة التي تتناول أربعة قرون من وجود القنصلية الهولندية في حلب، تعطينا تفصيلاتٍ هامةً ووثيقةَ الصلةِ لفهم العلاقات التاريخية بين حلب وهولندا، وكذلك تعطينا العديد من المعلومات التي لم تُنشر حول هذا الموضوع بهذا الشكل بعد.

---

* سعادة الدكتور نيقولاوس فان دام، السفير الحالي للمملكة الهولندية في أندونيسيا، وفي العراق ومصر وتركيا وألمانيا سابقاً. مستعرب وأستاذ جامعي، مختصّ في تاريخ سورية أيضاً.

مقدمة المؤلفَين

قد أشرقتْ...
أحجاركِ الشهباء تحتَ الشمس...
فتوردتْ وجناتُ فارسِكِ النبيلْ...
واغْرورقتْ دمعاً عيون النهر في أرض الأمير...
قمددتِ بالمنديل طرقَكِ ماسحاً !!!
دمع المحبةِ في البلادِ الواطئه...
دمع القناةِ الهادئه...
في أمستردام...

وانحنى قلب المحب أمام سحر جمالها...
لما تراءى وجهها الملكي...
من تحتِ طرحةِ عرسها الزرقاء...
عبر أمواج البحار... بلون أمواج البحار... وراء أمواج البحار...
محروسةً عبر الزمان !!!

وتفجرت قصص الهوى بين المليكةِ والأمير...
وتسربت أخبارها عبر الأثير...
ليسافر التجار عبر البحر... من خلف أمواج البحار...
حاملين صداقَها !!!

قد أعلنوا من يومِها...
أن الليالي القادمه...
لن ينتهي فيها السرور... لتفوح من عبق العطور...
والتوابل والحرير...
حكايةٌ عبر العصور...
عن غادةِ التوليب...
تلك التي قد أشرعتْ... للشمس والأمواج والنسماتِ...
درفةَ بابِها !!!

في عصرٍ أُقيمتْ فيه الحواجز بين تبادل الثقافات، وجدنا من الأجدى أن تتجه الأنظار إلى ما وراء تلك الحواجز، لنرى أزهار الماضي، ولنتأمل حقول توليب الإمبراطورية العثمانية ترويها أقنية البلاد المنخفضة "هولندا" مثلما نتأمل شخوص الرسام الهولندي رامبرانت؛ ترفل بحرائر الشرق.

حيث تَرفع أمستردام الطرحةَ الزرقاء للبحر الأبيض المتوسط، لترى حلب ملكةً للشرق، متألقةً تحت أشعة الشمس، ممتدةً وسط حقول الزيتون والفستق، متوجةً بالقلعة؛ حجارتُها أكثر روعةً وأشد بياضاً من حجارة قصور التجار الهولنديين الأغنياء التي أحمرت خجلاً لهذا الجمال الباهر...

إن هذا الكتاب يحكي قصة اللقاء بين حلب وأمستردام، قصة الزواج بين أكبر مركزين تجاريين دوليين في بداية القرن السابع عشر، ورحلات هذا الزفاف البهيجة على متن السفن الملأى بالحرير والتوابل والفضة التي تتهادى على أمواج البحر الأبيض المتوسط. إن المولود الأول لهذا الاتحاد السعيد كان قنصليةَ البلاد المنخفضة "هولندا" في حلب، والتي احتفلت في عام 2007 بمرور أربعمئة عام على ميلادها؛ وهذا الكتاب هديةٌ منا في عيدها، حيث يضم مجموعة من الصور والرسوم المطبوعة القديمة، تُذَكر بقصة الحب الرائعة، تلك التي جمعت بالسلام والتسامح بين الجمهورية الفتية للمقاطعات الهولندية السبع المتحدة، ومدينة حلب العريقة.

خارطة آسيا الصغرى وضعها William Jansz و Joan Blaeu عام 1635

تمهيد

بمناسبة مرور أربعمئة عام على إقامة القنصلية الهولندية في حلب، بدت لنا أهمية وضع هذا الكتاب، ونقصد به إعادة ذكرى التاريخ المشترك بين سورية في الفترة العثمانية، وجمهورية المقاطعات الهولندية السبع المتحدة.

لقد كانت هذه العلاقات تجاريةً بشكل رئيسي، لكن التجار نقلوا أيضاً لغتهم وعاداتهم وطرق تفكيرهم. وفي حلب، في نهاية القرن السادس عشر، بدأ الهولنديون بالاستقرار في هذه المدينة لتطوير نشاطهم بالتفتيش عن المنتجات الثمينة الآتية من الهند وبلاد فارس والجزيرة العربية. لم تكن حلب مفترقَ طرقٍ تجارية فحسب، بل كانت مركزاً ثقافياً ومدينة عالمية، حيث يتم فيها تبادل المخطوطات والمعرفة والعلوم التقنية التطبيقية، ويتعايش فيها الأوربيون والعرب والأتراك والفرس والأرمن واليونانيون، والمسلمون واليهود والمسيحيون يتواصلون ويسمع بعضهم بعضاً، ويعملون على التفاهم فيما بينهم. مثل الزهرة ذات الألف بتلة وبتلة، فحلب قد فاح أريجها في العالم كله، ولقد انجذب الهولنديون إلى عطورها وتوابلها وألوانها، ولم يترددوا، من أجل الوصول إليها؛ في مجابهة السفر الطويل المحفوف بالمخاطر. إن هذه العلاقة التاريخية بين حلب وهولندا، هي التي دفعتنا إلى وضع هذا الكتاب، مقترحين عليكم تصفحه صفحةً تلو أخرى، حيث تقطفون بتلةً جديدة في كل صفحةٍ منه.

لقد تحاشينا تقديم زهر الذينان[1] وهو زهر صعب المنال، ينبت في أعالي الجبال؛ وتحاشينا أن يحمل الكتاب بالشروحات الكثيرة لأنه موجه إلى جمهور عريض. إن هذا الكتاب، بعبارةٍ أخرى، ياسمينة تمتد في مختلف الاتجاهات، وتقدم رائحتها للبستاني الخبير، كما لعابر السبيل.

لقد اعتمدنا أثناء نقل أسماء الأعلام والأماكن الأجنبية المذكورة في الكتاب إلى اللغة العربية طريقةَ اللفظ الفرنسي للكلمة مع بعض الاستثناءات باستعمال اللفظ الهولندي أو الإنكليزي، مع الاحتفاظ بكتابة الاسم كاملاً باللغة الأجنبية أيضاً إلى جانب الكلمة المعربة.

---

[1] الذينان: نوع من النباتات العشبية المعمِّرة من المركبات الأنبوبية الزهر.

7. تسمية أول قنصل للبلاد المنخفضة "هولندا" في حلب عام 1607

قبل تسمية أوّل قنصل للمقاطعات الهولندية المتحدة في حلب، كان التجار الهولنديون مجبرين على وضع أنفسهم تحت حماية فرنسية أو إنكليزية، ليستطيعوا العمل التجاري بحرية. وإن الامتيازات التي حصلت عليها فرنسا في عام 1569[16]، وجددت في الأعوام 1581 و1597، تتيح للدول التي لم توقع على المعاهدة مع الإمبراطورية العثمانية إمكانيةَ الإبحار تحت العلم الفرنسي. ولكن مع بداية القرن السابع عشر ولدى منح الامتيازات تارةً للإنكليز في الأعوام 1601 و1607، وتارةً أخرى للفرنسيين في عام 1604؛ قد أكدت لكل منهما الحق بحماية الرعايا الهولنديين. ولقد كانت لدى الهولنديين الرغبةُ بتفضيل الحماية الإنكليزية، وخاصة من أجل الاستفادة من التعرفة الجمركية 3% التي أُعطيتْ للإنكليز، وهي أفضل مما يدفعه الفرنسيون 5%.

وفي عام 1609، وبعد نزاع جديد بين الفرنسيين والإنكليز؛ شكل الصدر الأعظم[17] لجنةً للتحكيم برئاسة قنصل البندقية، فحصل الإنكليز على حق حماية مواطني مقاطعات هولندا Hollande وزيلاندا Zélande وفريز Frise وغلدرلاند Gelderland، بينما كانت الثلاث عشرة مقاطعة الأخرى تحت حماية العلم الفرنسي. إنّ هذا النزاع الدائم والذي استمر فيما بعد، وخاصة حين انقطاع وجود قنصل هولندي في حلب، جعل وضع الفائدةِ الماليةِ -موضوع الحماية- يتأرجح: فالحقوق القنصلية المالية كانت في الواقع لصالح الحامي.

ولكنّ هذه الحماية الفرنسية أو الإنكليزية للرعايا الهولنديين لم تكن تعجب التجار الهولنديين، فإن كورنيليس هاغا Cornelis Haga أول سفير للمقاطعات الهولندية المتحدة في القسطنطينية (1612-1638)؛ حدثنا في مذكراته عن المعاملة السيئة التي تعاني منها الجالية الهولندية تحت حماية القناصل الأجانب الآخرين[18]. وبما أن التجارة الهولندية أصبحت مزدهرة؛ فقد عبر التجار الهولنديون عن رغبتهم بالتحرر من الوصاية الفرنسية أو الإنكليزية.

ففي عام 1607، قرر المجلس الأعلى لممثلي مقاطعة هولندا Hollande الطلب من الوكيل التجاري لمقاطعة دوردرخت Dordrecht أرنو دو ڤاله Aernout de Valée أن يعملَ قنصلاً لحساب التجار

---

[16] في الواقع؛ لا نقصد الامتيازات الأولى التي كانت في عام 1535 أو 1536، والتي لم تكن تحوي في بنودها هذا النوع من الإبحار تحت العلم الفرنسي.

[17] بمثابة رئيس وزراء الإمبراطورية العثمانية.

[18] انظر: Heeringa, I, 227, 249 و Alexander de Groot, *op. cit.*, note 49 p. 292

9. معاهدة الامتيازات Capitulations بين الإمبراطورية العثمانية وجمهورية المقاطعات الهولندية السبع المتحدة

إن الامتيازات التي حصل عليها السفير الهولندي كورنيليس هاغا Cornelis Haga، أقرها أيضاً السلطان العثماني مراد الرابع في عام 1634، وتمّ تجديدها في عهد السلطان محمد الرابع في عام 1680 بفضل السفير الهولندي آنذاك Justinus Colyer، وضعتْ هذه الامتيازات أسس العلاقات السياسية والاقتصادية بين البلاد المنخفضة "هولندا" والإمبراطورية العثمانية حتى زاولها.

فعلى الصعيد الاقتصادي، سمحت الامتيازات بحرية التنقّل للتجار، وكذلك أعطتهم الحق بدفع تعرفة جمركية مميزة. وقد نصت المادة 12 من معاهدة الامتيازات: *"تُدفع على المنتجات التي يحملها التجار الهولنديون إلى الدولة العثمانية أو التي يشترونها وينقلونها من الدولة العثمانية بناء على طلب مجلس الولايات العام؛ ضريبة جمركية بنسبة 3% لا أكثر؛ تُدفع في حلب والإسكندرية وفي الأماكن الأخرى.»* كما يستفيدون من نفس الامتيازات التي يتمتع بها الإنكليز، بينما كان تجار فرنسا والبندقية مجبرين على دفع نسبة 5%. لقد فاوض كورنيليس هاغا، وبشكل مباشر، أمين الجمارك في حلب ويدعى بديك Bedik، والذي يشرف على المراقبة الجمركية لحساب السلطنة العثمانية. إن "بديك" هذا، أو "خواجة بديك" ينتسب إلى عائلة "كراغوز Karagöz" ذات الأصل الأرمني، ويشغل منصباً أساسياً في التجارة مع الأوروبيين، ومعه بالذات يجب بحث موضوع كل البضائع. لقد انتهت المفاوضات في عام 1616، وحددتْ بشكلٍ نهائي شروط التجارة الهولندية في حلب. لقد أضاع "بديك" منصبه وحياته في عام 1627 نتيجة شكاوى قدمها القناصل الأوروبيون الأربعة (البندقية وفرنسا وإنكلترا وهولندا).

لقد نص اتفاق المعاهدة أيضاً على حق الجمهورية الهولندية في أن يكون لها قناصل على أراضي الإمبراطورية العثمانية، وهؤلاء القناصل لهم سلطات قانونية وإدارية تمتد ضمن محيط عملهم على التجار الهولنديين الموجودين ضمن دائرتهم، كما أن لهم الحق في الفصل بين النزاعات الداخلية للهولنديين وترؤس المحاكم الخاصة التي تنظر في النزاع بين رعاياهم ورعايا مختلف الدول. كما يجبون الرسوم على قيمة البضائع التي يتاجر بها رعاياهم في الأسواق العثمانية، ويديرون ويتابعون تجارة من تُوفي من التجار الهولنديين، وهكذا يصبح القنصل محور الجالية الأجنبية كما يعتبر في الوقت نفسه، من قبل السلطات العثمانية، الشخص الأول المسؤول عن تصرفات مواطنيه. ومنذ عام 1612، عينت شبكة من القناصل الهولنديين في جميع أرجاء الإمبراطورية العثمانية.

19. العلاقات الثقافية

لقد نشأتْ وتوطدتْ العلاقات الثقافية عبر عدد صغير من المستشرقين والرحالة الهولنديين الذين جاؤوا إلى المشرق ليجمعوا المخطوطات والقطع الأثرية.

البحث عن المخطوطات

كما في القسطنطينية والقاهرة، كانت حلب المكان الملائم للمستشرقين والعلماء الأوربيين للبحث عن المخطوطات الشرقية وجمعها. إن الأول والأشهر من هؤلاء الباحثين الهولنديين، كان بلا شك جاكوبوس غوليوس Jacobus Golius (1596-1667)؛ وهو عالم رياضيات، ودَرَسَ أيضاً اللغة العربية في جامعة لايدن Leyde بإشراف توماس ايربينيوس Thomas Erpenius (1584-1624) والذي يعتبر واحداً من أشهر مستعربي عصره، ولم يتَح له السفر إلى الشرق على الإطلاق. في عام 1622 قام جاكوبوس غوليوس Jacobus Golius بأول رحلة إلى المغرب كمترجم لمبعوث فوق العادة لمجلس الولايات العام. وبعد عامين خَلَفَ توماس إيربينيوس Thomas Erpenius في منصبه العلمي، فشغل كرسي أستاذ اللغة العربية في جامعة لايدن، وقد أجازت له الجامعة عندئذٍ أن يسافر إلى المشرق في عام 1625؛ ولما كان يشغل منصب مترجم لدى الحكومة الهولندية، فقد اختار البقاء في حلب حيث شغل منصب مستشار ومترجم؛ وهناك استطاع أن يجمع وأن يحصل على مخطوطات عربية وتركية وفارسية قبل أن يكمل أبحاثه في القسطنطينية عام 1628. لقد استفاد هناك من ضيافة ومساعدة كورنيليس هاغا Cornelis Haga، وقدم للسفير هاغا مقابل ذلك خدماته كمستشار ومترجم في مناسبات خاصة، إلى أن غادر في العشرين من كانون الأول 1628. وبعد عودته إلى هولندا في عام 1629، درس اللغة العربية والرياضيات في جامعة لايدن حتى وفاته عام 1667. إن عدد المخطوطات التي جلبها غوليوس من المشرق وصلت إلى ثلاثمئة، منها مئتان واثنتا عشرة مخطوطةً موجودة حتى اليوم في مكتبة جامعة لايدن. وهكذا يمكننا اعتبار غوليوس أولَ مستعرب حقيقي بتصميمه على تعلم اللغة العربية بنفسه، أكثر من اعتماده على تعلّمها عن طريق العبرية أو السريانية، ومن بين أعماله العديدة يظهر قاموسه العربي-اللاتيني المطبوع في عام 1653 والذي بقي مرجعاً حتى القرن التاسع عشر.

في نفس الفترة من إقامة جاكوبوس غوليوس Jacobus Golius في حلب، كان العديد من المقيمين الهولنديين يهتمون بالبحث عن المخطوطات مثل داڤيد دو ويلهم David de Wilhem (1588-1658)؛ فبعد دراسته اللاهوت واللغات الشرقية في لايدن Leyde وفي فرنسا؛ سافر إلى

20. القنصلية الهولندية في حلب من القرن الثامن عشر حتى يومنا هذا

إن غياباً شبه كامل للتجار الهولنديين في حلب مع بداية القرن الثامن عشر، لم يمنع التجارة مع جمهورية المقاطعات الهولندية السبع المتحدة من أن تستمر عن طريق التجار الشرقيين، وبشكل خاص اليونانيين والأرمن واليهود، ولقد بقي بعض التجار الهولنديين أيضاً بضعة أعوام في حلب، مثل: Daniel Bouwmeester ورفيقه Jan Jacob van Liebergen و Hendrik Abraham Heirmans الذين عملوا أيضاً بالمهام القنصلية. إن شركة van Heemskerk, Maseyk وشركائهم، كان لها في نهاية القرن الثامن عشر أيضاً وجود مزدهر نسبياً في حلب. إن أغلب أعضاء هذه الشركة كُلفوا تباعاً بإدارة القنصلية الهولندية منذ عام 1760 وحتى عام 1826، حيث صدر في هذا العام قانون أُنهي بموجبه عملُ مديرية التجارة مع بلاد المشرق. وهكذا طُويت صفحة من تاريخ القنصلية الهولندية في حلب والتي كان يديرها قناصلُ هولنديو الأصل.

ومنذ عام 1827، وطيلة القرن التاسع عشر، تم اختيار القناصل الهولنديين من كبرى العائلات المحلية ذات الأصل الأوروبي، وتم هذا الأمر بداية مع عائلة بيجيوتو Picciotto، وهم من أصل توسكاني toscane، فكان تعيين دانيال Daniel قنصلاً لهولندا من عام 1827 إلى عام 1856، وجاء من بعده موسى Moise من عام 1857 إلى عام 1894. ثم انتقل منصب القنصل الهولندي إلى عائلة بوخه Poche، ويعود أصلهم إلى مقاطعة بوهيميا، مع تعيين ألبير Albert قنصلاً من عام 1895 إلى عام 1929، ومن ثم أصبح ابنه رودولف Rodolphe قنصلاً من عام 1929 إلى عام 1965.
إن نائب القنصل الهولندي إلياس متّى Elias Matta أصبح قنصلاً لهولندا في عام 1965، وبوفاته حل محلّه جان مكرينة Jean Mégarbané الذي مارس المهام القنصلية في سبعينيات القرن العشرين، وبعد وفاته عين أول قنصل مسـلم لبلد أوروبي في مدينة حلب وهو عصمت حسين رشدي المدرس Ismet H. El-Mudarris، الذي حصل على وسام أورانج ناسو Orange-Nassau بمرتبة فارس في عام 1994 بعد اثنتي عشرة سنة من عمله الرسمي المتفاني. وفي الثاني من آب عام 1997 نَقَلَ الأب الشعلةَ إلى ابنه حسين عصمت المدرس Hussein I. El-Mudarris؛ فبعد ستة أشهر من تعيينه الرسمي كقنصل للمملكة الهولندية في حلب، أدى المدرس الابن يمين القسم على القرآن الكريم، وهو الأمر الذي يحصل للمرة الأولى بالنسبة لأحد قناصل المملكة الهولندية.

تقع حلب في شمال سورية، وكانت لعدة قرون محطةً على طرق القوافل القديمة التي تربط بين الصين وأوروبا، وبين القوقاز وشبه الجزيرة العربية. وهكذا غدت مدينةً عالمية، يلتقي فيها العديد من المجموعات العرقية والدينية، يجمعهم هدف مشترك واحد، ألا وهو التجارة.

في نهاية القرن السادس عشر، كانت حلب المركز الأكثر أهميةً للتجارة الهولندية في المشرق. ولقد تطورت العلاقات التجارية بشكل واسع بسبب الحرب ضد عائلة هابسبورغ Habsbourg، والتي قامت بها السلطنة العثمانية والبلاد المنخفضة "هولندا" في آن واحد. إن الانتصارات الهولندية في البحر، وكذلك انتصارهم على الأسطول الإسباني بالقرب من مضيق جبل طارق، كان لها تأثيرها الكبير على السلطان العثماني؛ ففي عام 1610 قرر مجلس الولايات العام إرسال سفير إلى القسطنطينية وهو: كورنيليس هاغا Cornelis Haga، وكان ضمن بعثته هذه كورنيليس باو Cornelis Pauw ابن عمدة أمستردام، والذي أصبح فيما بعد قنصلاً عاماً لهولندا في سورية الكبرى، ومركزه حلب.

في زمن القناصل الهولنديين الأوائل، طور الأجانب في حلب نشاطاتهم التجارية في الخانات، فكان لكل جاليةٍ خان، فيه فِناء، يقوم التجار ببيع بضائعهم فيه في الصباح. وبالنسبة للهولنديين في حلب، فقد كان خانهم هو خان الفلمنك (الذي يجري التكلم فيه بالفلمنكي – اللغة الهولندية) وفيه أيضاً مكتب القنصل الرئيسي باو Pauw، ويعمل فيه مستشار وخازن وفريق محلي يؤمن من بين أعماله الترجماتِ. وفي منتصف القرن السابع عشر تراجعت أهمية حلب من حيث كونها مركزاً للتجارة بين آسيا وأوروبا بسبب رئيس؛ هو زيادة التجارة البحرية بين أوروبا والهند، فأصبحت العلاقات التجارية مباشِرةً بينهما، وخاصة من أجل تجارة التوابل. ورغم ذلك، فإن التجارة الهولندية في المشرق بقيت نشطة في حلب عبر منتجات مثل: جوزة الطيب، الفلفل (البهار) وكبش القرنفل التي استمرت بالتوجه من أوروبا إلى أسواق حلب، وليس العكس.

أب وابنه:

إذا مشيتَ في المدينة القديمة في حلب هذه الأيام، فمن السهل عليك أن تتخيل كيف كان يعيش ويعمل قناصل هولندا وموظفوهم والتجار الهولنديون. الخانات كانت ولا زالت موجودة دائماً. للأزقة الضيقة في السوق القديمة أبواب ثقيلة ضخمة من الخشب بدعاماتها الحديدية، مفتوحةٌ على باحات لا تزال إلى اليوم تُزاولُ فيها التجارة النشطة. وحسب المعطيات الحالية، فالبضائع هذه الأيام هي أكثر حداثة؛ فاليوم تنتظر كمياتٌ كبيرة من الأحذية ذاتِ الجودة المتدنية نقلَها إلى موسكو. كما يوجد أيضاً كميات كبيرة من التوابل وصوف الأغنام والنسيج. ومع ذلك؛ فالقنصليات لم تعد موجودة اليوم في الأسواق.

إن مكتب القنصل الفخري لهولندا يقع بالقرب من المؤسسة العامة للخطوط الحديدية السورية، حيـث كانت في السابق نهاية خط حديد قطار الشرق السريع، على بعد عدة كيلومترات من أبواب المدينـة القديمة. إنه سليل السلاجقة، سكنت عائلةُ القنصل الفخري حلب في الفترة العثمانية مع بداية القـرن السادس عشر، ومنذ ذلك الوقت، فعائلة المدرس، وهو اسم عائلة القنصل الفخري للمملكة الهولنديـة، تشغل مكانةً مرموقةً في قلب العائلات الحلبية. وعندما نتحدث عن القنصل الفخري لهولندا في حلب، فإننا نقصد شخصين: المدرس الأب والابن.

يوم السبت 6 كانون الأول عام 1997 كان يوماً مميزاً لكلا السيدين، فالأب عـصمت المـدرس ودع رسمياً عمله كقنصلٍ فخري للمملكة الهولندية، وأدى ابنه حسين المدرس يمين التعيين، وقام أعـضاء السفارة الهولندية في دمشق، سوريين وهولنديين، في هذه المناسبة المميزة، برحلـة دامـت خمـس ساعات في حافلة خاصة بالركاب إلى حلب. وبحضور سعادة السفير الـسيد مِـيس Meys وبعـض الشخصيات الرسمية الأخرى. أقسم السيد حسين عصمت المدرس، واضعاً يده على القرآن الكـريم، وقد حضر حوالي أربعمئة شخصٍ حفل الاستقبال بعد القَسم، من بينهم محافظ حلب، ورئيسا غرفتـي التجارة والصناعة فيها. وقد انتهى يوم الاحتفال بعشاء في دار زمريا؛ وهو بيت مرمم رائع الجمال، يعود تاريخه إلى عدة قرون خلت، يقع في مدينة حلب القديمة. ومن يـدري! فقـد يكـون قنـصلنا الهولندي الأول أيضاً قد تناول طعام العشاء هنا يوماً ما.

لويس ڤان دن أكر Louis van den Akker، قائم بأعمال سفارة المملكة الهولندية في دمشق 1997

فهرس الكتاب

مقدمة الدكتور نيقولاوس فان دام 5
مقدمة المؤلفين حسين عصمت المدرس و أوليفيه سالمون 6
تمهيد 8

1. تأسيس جمهورية المقاطعات الهولندية السبع المتحدة 9
2. الاتصالات الدبلوماسية الأولى مع الإمبراطورية العثمانية 12
3. مدينة أمستردام أصبحت مركزاً للتجارة في أوروبا 15
4. الإمبراطورية العثمانية وازدهار حلب الاقتصادي 18
5. التجار الهولنديون الأوائل في حلب في القرنين الخامس عشر والسادس عشر 24
6. نهضة التجارة الهولندية في حلب 1603-1621 26
7. تسمية أول قنصل للبلاد المنخفضة "هولندا" في حلب عام 1607 30
8. سفارة كورنيليس هاغا Cornelis Haga في القسطنيطينية في عام 1612 32
9. معاهدة الامتيازات Capitulations بين الإمبراطورية العثمانية وجمهورية المقاطعات الهولندية السبع المتحدة 33
10. السفارة الهولندية في القسطنطينية 34
11. شبكة القنصليات الهولندية في المشرق 36
12. القنصلية الهولندية في حلب في عهد القنصل كورنيليس باو1613-1622 43
13. إنشاء مديرية التجارة الهولندية مع بلاد المشرق في عام 1625 44
14. البضائع المتداولة في التجارة 45
   - *الحبوب* 45
   - *التوابل* 46
   - *المنسوجات* 47
   - *القطع النقدية الفضية* 50
   - *الفعاليات التجارية الأخرى* 51

15. تنظيم التجارة 55
16. حياة الجالية الهولندية في حلب في القرن السابع عشر 61
17. إعادة إحياء التجارة الهولندية في البحر الأبيض المتوسط 64
18. قنصلية البلاد المنخفضة "هولندا" في أواخر القرن السابع عشر ومنافسة الفرنسيين 66
19. العلاقات الثقافية 67
- *البحث عن المخطوطات* 67
- *أدب الرحلات* 71
- *أثر الشرق على فن الرسم الهولندي* 75
20. القنصلية الهولندية في حلب من القرن الثامن عشر حتى يومنا هذا 76
- *قائمة بأسماء قناصل البلاد المنخفضة "هولندا" في حلب من عام 1607 إلى عام 2007* 79

وثائق وشهادات

- "ممثلنا في حلب" لـ: لويس ڤان دن آكر Louis van den Akker 84
- دخول لوران دارڤيو Laurent d'Arvieux قنصل فرنسا وهولندا إلى حلب عام 1679 87
- رحلة Cornelis de Bruijn إلى حلب 1682-1683 90
- وصف مدينة حلب في عام 1754 لجاك تستا Jacques Testa ترجمان قنصلية هولندا في حلب وسفارة هولندا في القسطنطينية..... 102
- بطاقة هوية لقواص من حلب 106
- جواز سفر لقواص القنصلية الهولندية في حلب 107

المصادر والمراجع 108

نتوجه بشكرنا العميق إلى سعادة الدكتور نيقولاوس فان دام، وسعادة السفيرة ديزيرية بونيس، والسيد هانس كريشوب، والسيد عصمت حسين رشدي المدرس، والسيدة دلال هيكل، والسيدة ماريز بوفيـه، والسيد لوسيان سالمون، والسيد بلانشار حلاق، والدكتور محمود حريتاني والسيد هيـثم قبـاني لمـا قدموه لنا من مساعدةٍ ونصائح قيمة.

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة للمؤلفَين حسين عصمت المدرس وأوليفيه سالمون

لملاحظاتكم وانطباعاتكم راسلونا على العنوان الإلكتروني التالي **livralep@aol.com**

ولمزيد من المعلومات عن نشاطات المؤلفين يمكنكم زيارة موقعنا على الإنترنت

www.aleppoart.com

صدر للمؤلفَين باللغتين الفرنسية والإنكليزية:

1) *Les relations entre les Pays-Bas et la Syrie ottomane au XVIIe siècle. Les 400 ans du Consulat des Pays-Bas à Alep (1607-2007)*
2) *Romantic Travel through Bartlett's Engravings: from Europe to the Middle East*
3) *Souvenir from Damascus. Souvenir de Damas. 200 cartes postales anciennes*
4) *Rêveries d'un promeneur à Annecy*

ظهرت الطبعة العربية الأولى من هذا الكتاب بالتعاون مع سفارة المملكة الهولندية في دمشق وقنصلية المملكة الهولندية في حلب

تم الانتهاء من طباعة هذا الكتاب في شهر تشرين الأول 2008

دار شعاع للنشر والعلوم في حلب

ISBN: 978-9953-511-92-4

حسين عصمت المدرِّس و أوليفيه سالمون

العلاقات ما بين هولندا وسورية العثمانية في القرن السابع عشر
أربعة قرون على إقامة القنصلية الهولندية في حلب (١٦٠٧ - ٢٠٠٧)

قد أشرقتْ...
أحجارُكِ الشهباءُ تحتَ الشمسْ...
فتورّدتْ وجناتُ فارسِكِ النبيلْ...
واغرَوْرَقتْ دمعاً عيونُ النهرِ في أرضِ الأميرْ...
فَمَدَدْتِ بالمنديلِ طرْفَكِ ماسحاً !!!
دمعَ المحبَّةِ في البلادِ الواطئهْ...
دمع القناةِ الهادئهْ...
في أمستردام...

وانحنى قلب المُحبِّ أمامَ سحرِ جمالها...
لمَّا تراءى وجهُهَا الملكيّ...
من تحتِ طرحةِ عرسها الزرقاءْ...
عبرَ أمواجِ البحار... بلونِ أمواجِ البحار... وراءَ أمواجِ البحارْ...
محروسةً عبر الزمانْ !!!

وتفجَّرت قصصُ الهوى بين المليكةِ والأميرْ...
وتسرَّبت أخبارها عبر الأثيرْ...
ليسافرَ التجارُ عبر البحر... من خلف أمواجِ البحارْ...
حامليَن صداقها !!!

في عصرٍ أُقيمتْ فيه الحواجز بين تبادل الثقافات، وجدْنا من الأجدى أن تتَّجه الأنظار إلى ما وراء تلك الحواجز، لنرى أزهار الماضي، ولنتأمَّل حقول توليب الإمبراطورية العثمانية ترويها أقنية البلاد المنخفضة "هولندا" مثلما نتأمَّل شخوص الرسام الهولندي رامبرانت ترفل بحرائر الشرق.
حيث تَرفع أمستردام الطرحةَ الزرقاء للبحر الأبيض المتوسط، لترى حلبَ ملكةً للشرق، متألقةً تحت أشعة الشمس، ممتدةً وسط حقول الزيتون والفستق، متوَّجةً بالقلعة؛ حجارتُها أكثرُ روعةً وأشدُّ بياضاً من حجارة قصور التجَّار الهولنديين الأغنياء التي أحمرّت خجلًا لهذا الجمال الباهر...
إنَّ هذا الكتاب يحكي قصة اللقاء بين حلب وأمستردام، قصة الزواج بين أكبر مركزين تجاريين دوليَّين في بداية القرن السابع عشر، ورحلات هذا الزفاف البهيجة على متن السفن الملأى بالحرير والتوابل والفضة التي تتهادى على أمواج البحر الأبيض المتوسط. إنَّ المولود الأول لهذا الاتحاد السعيد كان قنصليةَ البلاد المنخفضة "هولندا" في حلب، والتي احتفلت في عام ٢٠٠٧ بمرور أربعمئة عام على ميلادها؛ وهذا الكتابُ هديةٌ منَّا في عيدها، حيث يضمُّ مجموعة من الصور والرسوم المطبوعة القديمة، تُذَكِّر بقصة الحب الرائعة، تلك التي جمعت بالسلام والتسامح بين الجمهورية الفتية للمقاطعات الهولندية السبع المتحدة ومدينة حلب العريقة.

ISBN 978-9953-511-92-4
9 789953 511924

RAY PUBLISHING & SCIENCE